ان احزان الرجل قد انزاحت عن نفسه، او ان الطمأنينة قد حلت في نفسه بشكل نهائي، لكن المعنى الذي نتلقاه هو ان الرجل كان عليه ان يجمد عواطفه صباح يوم العيد، مراعاة لاحكام الشريعة، لتتجدد مأساته الداخلية في نفسه مع حلول الليل وبدء التلاوة من جديد.

المجموعة الثانية

واذا كانت القصص الثلاث التي تمثل المجموعة الاولى تكشف، في وضوح، عن ذلك الصراع المدمر لنفوس الآباء والامهات، نتيجة لجسارة ابنائهم وبناتهم على اقتحام اسوار الغيتو والنفاذ الى خارج حدوده الجغرافية، والعقلية؛ فان المجموعة الثانية التي نعرض بعض قصصها في الحيز التالي تمثل ذلك الصراع الذي ينشأ داخل الفرد بين رغباته وشهواته الطبيعية، من ناحية، وبين مكوناته العقائدية الموروثة، من ناحية اخرى.

«الرجل وغليونه»: تدور هذه القصة حول صراع يستولي على حاخام فاضل اشتهر في الغيتو بتقواه بين سائر زملائه من الحاخامات. كان الرجل يحب التدخين. وكانت امتع واخصب لحظات تفكيره تصفو له وهو يدخن غليونه. غير ان الرجل كان يكف نفسه عن هذه المتعة في الاوقات المقدسة.

في احد ايام السبت، تتسلط على الرجل شهوته الى التدخين، ويستجيب، بعد مكابدة ومقاومة تجاه الشهوة الجارفة، فيشعل غليونه ويبدأ في التدخين. غير انه، بعد بضع انفاس من الدخان، يتسلط عليه الندم لمخالفة الشريعة، فيسقط في نوبة من البكاء المرير، ويعلن اعتكافه والتزامه الصوم لفترة طويلة، تكفيراً عن ذنبه. وبعد فترة الندم، يعود الرجل، مرة تلو المرة، الى زلّة التدخين في الايام المقدسة حتى يشيع امره بين سكان الغيتو، فيجمعوا على نبذه، ثم طرده من حياتهم ومن حيهم.

وكانت لحظة الطرد هي لحظة العتق للرجل من معتقداته الجامدة. ولم يكن انعتاق الرجل معقولاً ولا وسطياً، بل كان في الاتجاه المناقض تماماً. فلقد تحول الى الهرطقة والفلسفات الالحادية، ويتوج تمرده بارسال ابنه الى المدارس العلمانية ليعتقه، هو الآخر، من الغيتو ومعتقداته.

«صندوق الحاخام مئير، صاحب المعجزات»: تصور هذه القصة الشكل السابق ذاته من الصراع، ولكن من خلال اختبارات اشد تصارعاً وتمزيقاً لنفس البطلة. فالصراع هنا بين التقوى ونوازعها وبين الجوع وقرصه وآلامه. فالبطلة ارملة ضعيفة يتضاءل مصدر دخلها يوماً بعد يوم حتى يتلاشى، وتبدأ في معاناة الجوع وآلامه، قبل ان يتصدق عليها احد المحسنين بما يسد جوعها.

وفي احدى نوبات الجوع، الذي تمتد آلامه اياماً، اعجزت المرأة عن مقاومة فكرة لاحت لها لتحل مشكلة جوعها. فقد فكرت في كسر صندوق النذور الخاص بالحاخام مئير، صانع المعجزات، لتسرق منه بضعة بنسات محدودة تكفي لشراء رغيف من الخبز يقيها اوجاع الجوع.

بعد مقاومة طويلة، تنهار في المرأة تقواها الموروثة، فتقدم على كسر الصندوق وتأخذ ما تحتاجه لشراء الرغيف. وبعد ان تشتري رغيفها وتخلو اليه، تعود التقوى والتعاليم الدينية الى موقع السيطرة في نفسها، وتتعرض نفسها لاعصار هائل من الندم والاحساس بالخزي، كلما نظرت الى الرغيف. ولم يكن هناك من مخرج من هذا الصراع المضى سوى ان تسقط المرأة مغشياً عليها دون ان تتذوق طعم الرغيف الذي اشترته بالبنسات المسروقة.

«حكم الشرع»: تقدم هذه القصة، الاخيرة، التي نعرض لها خطوط الصراع السابق ذاته